جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثالثة

المادة : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي

عنوان المحاضرة: السياسة الإدارية في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور

أسم التدريسي : أ.د. صباح جاسم حمد

الإيميل الجامعي للتدريسي : sabah_jasim@tu.edu.iq

اجتمعت للمنصور من الصفات ما لم تجتمع لغيره من الخلفاء العباسيين، فقد كان رجلا قديرا وعبقريا فدا في السياسة والإدارة والحرب والاقتصاد، ويرجع الفضل اليه في إرساء دولة بني العباس واستمرار حكمها لأكثر من خمسة قرون. فقد كان من حسن حظ الدولة العباسية أن يتولى قيادتها رجل مثل المنصور، فاعتبر بحق فاتحة لبني العباس قاطبة.

جاء المنصور الى الحكم وفي جعبته سيلا هائلا ورصيدا ضخما من التجارب السياسية والادارية والعسكرية، وذلك نتيجة لممارسته الحياة السياسية منذ عهد مبكر من حياته، فاستفاضت تجاربه واتسعت خبرته، فصقلته الأيام وأهلته لأن يكون قائدا قديرا للدولة الجديدة.

والى جانب النهضة العمرانية الكبيرة راح المنصور يسهر على تنفيذ طائفة من الاصلاحات الداخلية على مستوى الدولة العباسية كلها. فاذا كان العدل أساس الملك فان الذين يقومون على العدل ينبغي أن يتم اختبارهم بعيدا عن الهوى والمصالح. فيروى أن الربيع بن يونس وزير أبي جعفر قال له ذات يوم: (أن لفلان حقا علينا، فان رأيت أن تقضي حقه وتوليه ناحية، فقال المنصور: يا ربيع ان لاتصاله بنا حقا في أموالنا لا في أعراض الناس وأموالهم. ثم بين للربيع أن لا يولي إلا الأكفاء ولا يؤثر أصحاب النسب والقرابة).

ولعل ما ورد عنه من قول مأثور فيما يخص سياسته الإدارية أنه قال:(ما كان أحوجني الى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على باب أعف منهم...هم أركان الملك، فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية، فإني عن ظلمها غني، والرابع، ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات في كل يوم يقول: آه ...صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة).

ولعل هذا القول يوضح : أسس الإدارة الصحيحة في نظر الخليفة، وهو يبين اهتمام الخليفة بالعدل قبل كل شيء. ويروي الجهشياري أن المنصور كان يقول. (إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا العدل).

كان المنصور يشرف بنفسه على كل شيء، وركز جميع السلطات بيده كصورة من صور مركزية الحكم، فلم تكن لوزرائه سلطة فعلية وهم لا يزالون على وجل منه وخوف، فكان لا يترك أمرا إلا واطلع عليه وأصدر حكمه فيه، وهو مع هذا كان يستشير أهل العلم والمعرفة

والتجربة والخبرة في الأمور الهامة. وهذا الإشراف العام على كل مرافق الدولة الصغيرة والكبيرة ومواصلته ليل نهار أدى الى النهوض بمؤسسات الدولة والارتقاء بها نحو العالمية، باعتبار أن بغداد صارت عاصمة للإمبراطورية العباسية المترامية الأطراف.

كان المنصور يشتغل بصورة منتظمة موزعا أوقاته وجهده لإدارة شؤون الدولة بكل أصنافها، فكان شغله في أول النهار بالأمر والنهي والولايات والعزل وشحن الثغور والأطراف وأمن السبل والنظر في الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية لطرح عالتهم والتلطف لسكونهم وهدوئهم، فاذا صلى العصر جلس لأهل بيته وقضاء حوائجهم، فإذا صلى العشاء الآخرة نظر في ما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف والآفاق، وشاور سماره في ذلك، فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره، فاذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه فأسبغ وضوئه وصف في محرابه حتى يطلع الفجر، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيجلس في إيوانه، وكان هذا دأبه طوال خلافته.

كانت مسألة اختيار عمال الدولة وولاتها يتم بطريقة انتقائية ليضمن سلوكهم ومن ثم أدائهم الإداري، فاذا أراد الخليفة تولية شخص معين يشيع عمال البريد هذا الخبر بين الناس فيتناقلون حسناته وسيئاته، ويكتبون أراء العامة للخليفة على شكل تقارير، فيولى الخليفة من يصلح للولاية. ولا يتوقف عمل أصحاب البريد على هذا الأمر فقط، بل يستمر في مراقبة الولاة طوال فترة توليتهم ليكون الخليفة على اطلاع تام عن أحوال أقاليمه.

لذلك كانت أبرز سمة تميزت بها الادارة هو عدم الابقاء فترة طويلة في ولايتهم، عمل الخلفاء العباسيون على نقل الولاة من ولاية الى أخرى حتى لا يقوى نفوذهم وسلطانهم في الولاية الواحدة.

وقد جعل المنصور بعض الولاة من البيت العباسي، فولى إسماعيل بن علي بلاد فارس، وسليمان بن علي البصرة، وعيسى بن موسى الكوفة وغيرهم. وكان بعض ولاته عربا مثل معن

بن زائدة الشيباني والي اليمن، وخازم بن خزيمة والي أرمينية، ومحمد بن الأشعث الخزاعي، وكذلك أكثر من استخدام الموالي وقربهم، ومن هذا يتضح انه استخدم العرب والفرس في ولاياته.

وكان المنصور شديد المحاسبة لعماله حتى ثقل عليهم، ولا يتوانى في عزل أي والٍ يشتبه بأمره حتى ولو كان من أهل بيته، فقد عزل عبد الوهاب بن ابراهيم الإمام الذي كان واليا على فلسطين فعسف بأهلها، ووصلت شكواهم الى المنصور فأظهر إنكارا شديدا فعزله، كما غضب على ابن أخيه العباس بن محمد سنة ١٥٥هـ فعزله عن الجزيرة وأغرمه مالا وحبسه.

وزاد المنصور في كفاءة البريد، ووسع دائرة عماله فجعل ارتباطهم به مباشرة ليطلع على أحوال الولايات، اذ كان من واجب عمال البريد إضافة الى نقل الرسائل التجسس على أعمال كبار الموظفين كالوالي والقاضي، فكان يطلب من عمال البريد أن يكتبوا إليه يوميا عن سعر القمح والحبوب والأدم وبسعر كل المحاصيل ليتلافى المجاعات، وكذلك ينقلون اليه بكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم، وبما يعمل به الوالي، وبما يرد بيت المال. علما إن عمال البريد هؤلاء لم يخضعوا لنفوذ الولاة، ولا نستغرب اذا عرفنا ان ابنه المهدي نفسه كان خاضعا لرقابتهم حينما عينه والياً على غرب إيران.

وأعطى المنصور كل العناية للمساجد، خاصة المسجد الحرام فعمل على توسعته سنة ١٤٠هـ، وسار الى بيت المقدس بعد أن أثر فيه الزلزال الذي ضرب الشام فأمر بإعادة بناءه مرة أخرى، وبنى للحجاج مسجدا بمنى وجعله واسعاً.

أما جيش المنصور فكان أيضا محط اهتمامه، فزاد من مرتبات أفراده، وهو أول من استعمل فرس النوبة ولم تكن معروفة قبله فصارت سنة لمن جاء بعده من الخلفاء. وكان الجيش يتكون من فرق عربية وأخرى خراسانية وبعض الفرق العربية المصرية واليمانية، وحاول الخليفة

أن يحفظ التوازن بين القسمين العربي والخراساني، واتخذ سياسة تفريق الجيش الى أحزاب لئلا يجتمعوا عليه.

ولم يكتف بذلك بل بنى الرصافة لتكون معسكر لجيش ابنه المهدي، ليكون لديه في وقت واحد معسكران على جانبي دجلة، فإن فسد عليه أهل جانب ضربهم بالجانب الآخر. وكان المنصور يستعرض جيوشه من حين لآخر ليتأكد من كفاءتهم واستعدادهم. وكانت أحد عروضه الشهيرة سنة ١٥٧هـ.